سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

[دفاتر تفكيك خطاب التطرف]

16

مداخل بلاغية لفهم ظاهرة التطرف

د. محمد الحافظ الروسي

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

مداخل بلاغية
لفهم ظاهرة التطرف

سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

- دفاتر تفكيك خطاب التطرف -

المشرف العام: أ. د. أحمد عبادي / رئيس التحرير: د. محمد المنتار

الإخراج الفني: يونس عبدوس

الطبع: مطبعة المعارف الجديدة. الرباط / الطبعة الأولى: (1440هـ/2018م)

الإيداع القانوني: 2018MO5746 / ردمك: 978-9954-600-79-5

تطلب منشوراتنا من:

• وحدة النشر والتوزيع وتنظيم المعارض

الرابطة المحمدية للعلماء، شارع لعلو، لوداية الرباط.

الهاتف والفاكس: 0537.70.15.85

البريد الإلكتروني: manchoratarrabita@gmail.com

• المعرض الدائم لإصدارات الرابطة المحمدية للعلماء

شارع فيكتور هيكو رقم 53 مكرر، الأحباس، الدار البيضاء.

الهاتف: 0522.44.86.57 الفاكس: 22.54.20.51 5 (212+)

البريد الإلكتروني: manchoratarrabita@gmail.com

• دار الأمان للنشر والتوزيع. الرباط

البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma

هاتف وفاكس: 37.72.32.76 5 (212+)/37.20.00.55 5

كل الحقوق محفوظة

Tous droits réservés

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

www.arrabita.ma

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو اختصار أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا.

سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

[دفاتر تفكيك خطاب التطرف]

16

مداخل بلاغية لفهم ظاهرة التطرف

د. محمد الحافظ الروسي

أولا. تحديد المفاهيم ووضع الحدود

لا يمكن الحديث في موضوع مثل هذا دون تحديد المفاهيم، وبيان المصطلحات، واقتراح روابط معنوية تصل بينها. وذلك حتى تُتَجَنَّبَ ثلاثةُ أمور:

الأول: تجنب أن يكون الحديث عن مفهومين مختلفين باستعمال اللفظ نفسه[1].

والثاني: تجنب أن يكون الحديث عن مفاهيم يضمها حقل دلالي واحد، دون تصور جامع يجمعها، أو واصل يصل بينها. فإن تصور مدلول للغلو، وآخر للتطرف، وثالث للتعصب، ورابع للإرهاب شيء، وتصور رابط جامع بين كلها شيء آخر. فالأول يقوم على وضع الفروق، والثاني ينظر إلى العلاقة بينها بعد إقامة تلك الفروق، والاتفاقِ على مدلولها.

والثالث: تجنب أن يتم توسيع مدلول معنى اللفظ أو تضييقه بغاية إخضاع مدلوله لتصور المتكلم.[2]

---

(1) وذلك كمن يتحدث عن التطرف، وهو يقصد الإرهاب، مثلا.

(2) ومن هذا الباب ما نراه اليوم من تصنيف من يعارض الشذوذ الجنسي متطرفا، لأنه غير معترف بالحقوق المشروعة للمثليين. وذلك يدخل عندهم تحت تعريف: التعصب، fa-naticism والتطرف Extremism باعتباره تصرفا يقوم على معاملة الآخر بمزيج من مشاعر الخوف، وعدم الثقة، والكراهية، وانعدام التسامح، والاحتقار، بسبب وضعه الجنسي.

1. التطرف

لم تكن كلمة «التطرف» عند القدماء مستعملة بالمعنى الذي تستعمل عليه اليوم. فإنها اليوم تستعمل ترجمة للكلمة الأجنبية Extremism بالإنجليزية، وextrémisme بالفرنسية. وقد نظروا في ترجمتها إلى معنى كون الشيء في الطَّرَف. من قولهم: تطرف الشيءُ: صار طَرَفاً[1]. وتطرفت الشمس: دنت للغروب[2]. وتطرفت الناقة: رعت أطراف المرعى[3]. والفعل في كل هذه الأمثلة لازم. فإذا تعدى بمن أو على اكتسب معنى جديدا. فتطرف عليهم: أغار[4]. وفلان لا يتطرف من البول: لا يتباعد[5].

وقد يحمل اسمُ فاعله: المتطرِّفُ، معنى لا يستقيم مع ما يراد منه اليوم. فالمتطرِّف: هو الذي لا يثبت على أمر[6]. والذي يفهم من صفات المتطرف اليوم الجمود، والثبات، والثقة بما عنده، والجزم بخطأ ما عند غيره. وهذا عكس المتنقل من أمر إلى آخر.

وقد تُوهِمُ بعضُ عبارات الأقدمين من لا يعرف كلامهم أنهم قصدوا بها معنى مشابها للمعنى الذي يفهم اليوم من هذه الكلمة. ومن ذلك قول المرزوقي في شرح بيت قَطَرِيّ بن الفُجَاءَةِ المازِنِيّ:

---

(1) اللسان، دار صادر. بيروت، 217/9، مادة: طرف.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، 216/9، مادة: طرف.

(6) المصدر نفسه، 215/9، مادة: طرف.

ثم انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ جَـذَعَ البَـصِيرَةِ قَـارِحَ الإِقْـدَامِ

«...والمعنى ثم انصرفت مع ما وصفتُ من حالي واتَّفَقَ مع ضِيق المجال علي، وقد نلتُ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا مني ما أرادوا، وأنا على بصيرتي الأولى لم يَبْدُ لي في الاقتحام، ولا غَلَبَ في اختياري التطرف والانحراف، بل صار إقدامي في الحرب قارحاً لطول ممارستي، وتكرُّرِ مبارزتي، وإن كان بقيَ رأيي فيه جَذَعاً»[7]. وإنما مقصود المرزوقي بهذه العبارة: القتال حول القوم، وفي أقصاهم وناحيتهم.

2. الغلو

وإنما كانت عبارتهم إذا أرادوا: تجاوز الحد، أن يعبروا عن ذلك بالغلو[8]. «وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «خَيْرُ الْأُمَّةِ النَّمَطُ الْأَوْسَطُ». يَعْنِي: الْجَمَاعَةَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كَرِهَ رضي الله عنه الْغُلُوَّ وَالتَّقْصِيرَ»[9].

---

(7) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل. بيروت، ط.1، 1411هـ.1991م، 138/1. وليس يغيب عنا ما جاء في الحيوان، وهو قول الجاحظ: «وقلتَ: وهذا بابٌ من أبواب الفراغ، وشكل من أشكال التطرُّف، وطريق من طرق المزاح، وسَبيلٌ من سُبُل المضاحك، ورجالُ الجدِّ غير رجالِ الهزْل، وقد يحسُن بالشَّبَابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ، ولولا التحصيلُ والموازنَة والإبقاء على الأدب والدِّيانة بشدَّة المحاسبة لما قالوا: لكلِّ مقامٍ مقال، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة، ولكلِّ طعامٍ أكلة». الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت. لبنان، 1416هـ.1996م، 201/1. غير أنني أرى أن هذه الكلمة هنا خطأ صوابه: التظرف، بدليل السياق. لذلك أغفلت الاحتجاج بهذا النص على هذا الاستعمال.

(8) انظر مثلا: محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر. بيروت، دار الفكر. دمشق، ط.1، 1410هـ، ص:540.

(9) أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ص:473.

فالغلوّ وصف لكل ما تجاوز الحد، أو إن شئت هو خروج عن الحد الأوسط. فإن كان الغلو في الجهل خاصة، وفي الأمر القبيح، سموه بَعْطاً، وَإِبْعَاطاً[1]. وأقرب كلمة تشبهه في الأجنبية كلمة: Exaggeration بالإنجليزية، وExagération بالفرنسية. وإنما جعلته قريبا من هاتين الكلمتين، دون أن أجعله مطابقا لهما، لما في معناه من شدة المبالغة. فإن الكلمة الأجنبية دالة على معنى المبالغة، وليست دالة على معنى شدتها، وهو المقصود بالغلو.

3. التعصب

وقد يطلق اليوم على الغلو في الرأي، والاعتداد به، والمبالغة في نفي ما سواه اسمُ التعصب، فيقال: فلان يتعصب لأفكاره. ويجعل في مقابل الكلمة الأجنبية: fanaticism بالإنجليزية، وfanatisme بالفرنسية، فيتسع معناه إلى حالة نفسية عمادها سيطرة فكرة على الشخص تؤدي به إلى تصرف غير مقبول، فيعامل الآخر، بناء على انتمائه الديني، أو العرقي، أو الجنسي، أو حالته الاقتصادية، أو مستواه الاجتماعي، معاملة خائف، أو كاره، أو محتقر، أو فاقد للتسامح، أو الثقة.

وقد يستعمل في الدلالة على هذا الأمر الكلمة الفرنسية: bigoterie، وهي الكلمة التي انتقلت إلى اللسان الإنجليزي في حدود القرن السادس عشر، فأصبحت في الإنجليزية: bigotry. وتستعمل وصفا لمن يتشبث بدقائق تفاصيل العبادات.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، 262/7، مادة: بعط.

وليست هذه المعاني كلها في الأصل العربي لكلمة: التعصب. إذ الأصل في التعصب، في العربية، أن يكون لشخص أو جماعة، أو عليهم، فهو من: «العصبية. والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عَصَبَتِهِ، والتألب معهم، على من يناويهم، ظالمين كانوا أو مظلومين»[2]. ولكنه استعمل بعد ذلك في الرأي والمذهب. فلما كان العصر الحديث اتسع معناها هذا الاتساع، بفعل الترجمة، وتطور المفاهيم والتصورات في علوم الاجتماع والسياسة.

4. الإرهاب

أصل الإرهاب في اللغة: التخويف[3]. وبذلك فهو في نفسه لا يدل على أمر محمود ولا مذموم. لأن التخويف قد يكون لحفظ الأمن، كما يكون لزعزعته. وأيضا فإن الإرهاب يكون في ما لا فعل معه، فهو مقدمة فعل، أو تخويف بفعل، لا يشترط فيه وقوعه، فإذا حصل الفعل الذي به كان الإرهاب سعي: تحقيقا. ومثال ذلك في كتب الفقه قول القرافي رحمه الله تعالى بعد أن جعل لوالي الجرائم أن يتوعد المجرم بالقتل فيما لا يجب فيه قتل: «لأنه إرهاب لا تحقيق»[4]. غير أن معناه صُرِفَ في العصر الحديث إلى ما يقابل اللفظ الأجنبي: Terrorism بالإنجليزية، وterrorisme بالفرنسية. وهذا لفظ له أصل في التاريخ الفرنسي، لأنه استعمل لوصف سياسة الرعب التي عرفتها فرنسا سنتي: 1793

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: عصب، 606/1.

(3) المصدر نفسه، مادة: رهب، 436/1.

(4) القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ط.3، 2008م، 42/10.

و1794م. وأصبح دالا على الاستعمال المنظم للعنف من أجل الوصول إلى هدف سياسي[1]. وظني أن شبيها لهذا الأمر قد كان في الإسلام أيام الحشاشين، ولكنه لم يبلغ هذا المبلغ من الاستعمال المنظم الذي يحوج الناس إلى وضع لفظ دال عليه، ولأن هذه الحركة تحولت بعد ذلك إلى حركة مسالمة، تعترف بزعامة أغا خان وتؤدي له عشر دخل أتباعها[2].

(1) Le petit robert, p: 2505.

(2) انظر: ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت .لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .تونس، 1408هـ.1988م، 318/13.

ثانيا. في التنبيه على العلائق بعد توضيح الفروق

يتضح مما بيناه أن هذه الألفاظ يتخللها اضطراب ناشئ عن أمرين: أولهما؛ خلل واقع بين أصل اللفظ في العربية، ومدلوله فيها، وبين معناه في الأجنبية، وأصله فيها، ينتج عنه تصور مختلف لمعناه بين المتكلم العربي، والمتكلم الغربي. بل قد يتعدى الأمر ذلك إلى وقوع المستعمِل العربي في خطأ تحميل معنى محدث للفظ قديم. وثانيهما؛ خلل في تصور معنى اللفظ بين المتكلم العربي وبين المتكلم الإنجليزي أو الفرنسي سببه اتساع معناه في اللغة العربية، كما في كلمة: الغلو، مثلا. أو دقة الدلالة على معنى جزئي فيه في اللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، كما في اللفظين الدالين فيهما على معنى التعصب.

ويزيد هذين الأمرين اضطرابا محاولة كل فريق أن يلبس هذه الألفاظ معاني هي أنسب لثقافته، وأليق بمصالحه. فأصبح عسيرا على الدارس أن يقف على معنى لهذه الألفاظ لا يُصْرَفُ كليا أو جزئيا إلى حماية مصلحة، أو دفع تهمة، أو تحقيقها، أو بناء سياسة، أو ترويج ادعاء.

وهذا أمر لا يمكن معه الحديث عن قضية أو ظاهرة، لأنه حديث عن شيء تختلف الأذهان في تصوره. فلزم وضعُ تحديدٍ يُسْقِطُ ما اخْتُلِفَ في تحديده، ولا ينظر إلى جوانب التوظيف السياسي في اللفظ، ويبتعد عما لا تحتمله الكلمة، وعما هو موضوع خلاف ومنازعة.ثم يعتني بعد ذلك بأمر قدمنا أنه يجب العناية به، وهو أمر الواصل والرابط، الذي بدونه لا يكون تصور كلي للظاهرة، ولا وصف دقيق لها.

وأقرب تصور نراه لهذه المسألة، أن يكون تحديد معاني هذه الألفاظ، مع بيان الوُصَلِ التي بينها، قائما على هذا النحو:

1. الغلو: تجاوز الحد، والخروج عن النمط الأوسط.

2. التطرف: حالة فكرية ناتجة عن الغلو.

3. التعصب: حالة نفسية ناتجة عن التطرف.

4. الإرهاب: فعل عملي عنيف ومنظم ناتج عن التعصب.

وبذلك ظهر أن حديثنا هنا إنما هو عن حالة فكرية ناتجة عن الغلو، نسميها تطرفا. والذي يهم البلاغي في هذه الحالة ليس وصفها، ولا بيان تهافتها، ولا الرد عليها، ولا بيان أصولها، وأيضا فإنه لا ينظر في أثرها في الناس، وسلوكهم، وفكرهم. فهذه الأشياء يقوم بها عالم الاجتماع، وعالم النفس، والمفكر، والفيلسوف. وإنما هَمُّ البلاغي أن ينظر في أثر التطرف في اللغة، وفي كلام المتكلمين، وفي أثر التطرف في الكلام من جهة صناعة العنف، والدعوة إليه، أو إخفائه، وإظهاره على غير صورته، وما يستعمل في ذلك من أدوات البلاغة وحيلها، وتفكيكه، ورفع ما تخفيه الحيل البلاغية فيه من أوهام، وكشف نسق استعاراته، وما يخفيه هذا النسق من اختزال لنظرة المتطرف لنفسه وللآخرين، وتحليل أدوات الإقناع والتأثير في هذا الخطاب، وبيان عمود ألفاظه المستعملة، التي هي مفاتيح دعوته، وما بين الصور المستعملة في هذا الخطاب وبين ما يصاحبها من استعارات من علائق وشيجة، وما يترتب عن ذلك من تأثير، وبيان أنواع المتلقين، وأثر هذا الخطاب من جهة البلاغة في كل نوع منهم، وعن الرموز والاستعارات وطرق صناعتها،

وتصور الفضائل بها، وتحسين القبيح، وتقبيح الحسن بوساطتها، إلى مثل هذه الأمور والقضايا التي تجعلنا في أمس الحاجة إلى وضع تعريف للخطاب المتطرف، بعد أن وضعنا تعريفا للتطرف. غير أن الخطاب الذي نقصده هنا هو الخطاب الذي يعتني به البلاغي لا غيره. فإن الذي يشغل البلاغي هو أثر التطرف في النص الذي ينتجه التطرف، ثم أثر النص في توسيع دائرة التطرف، وترسيخها في النفوس والأذهان.

ثالثا. في علامات الخطاب المتطرف كما ابتليت به الثقافة الإسلامية في العصر الحديث

إن الذي يهم البلاغي من علامات الخطاب المتطرف هو ما له أثر في النص الذي ينتجه التطرف، لا ما سواه من العلامات. والذي له أثر في النص أمور ثلاثة هي:

أولا؛ كون الخطاب المتطرف يجمع في نص واحد نصوصا كثيرة، ويؤلف منها سبيكة واحدة، يراها متلاحمة الأجزاء.

ثانيا؛ كون هذا التلاحم الظاهري يتخلله ما يمنع تماسكه، وهي ثلاثة أشياء:

أ. كون هذه النصوص مستعملة دون أخذ السياق في الاعتبار، أي إنها مقطوعة عن سياقها في التوظيف والاستعمال.

ب. كون هذه النصوص متناثرة جدا في الزمن، أي إنها مركبة من نصوص كثيرة لا تنتمي إلى زمن واحد. مع أنه قد يكون بين النصين ألف سنة تقريبا، ويكون بين صاحبيهما من البعد الجغرافي ما بين المشرق والمغرب من البعد، ومن تباعد الثقافة ما يوجبه تباعد الزمان والمكان من ذلك. فكأن الأزمنة القديمة في عقول أصحابها زمن واحد، يقابلها الزمن الحالي. فالأزمنة عندهم مختزلة في زمنين لا غير، هما: زمن المجد، وزمن استرجاعه.وهذا ما يفسر غلبة الطابع التاريخي على المجازات المستعملة في هذا الخطاب.

ج.كون هذه النصوص فاقدة للمخاطب الذي وضعت لأجله. ولذلك فهي تخاطب متلقيا مفترضا، لا متلقيا موجودا. ومن أجل إخفاء هذه المسألة تُعتبر الاستعارة أداتها المثلى، وطريقتها المفضلة، باعتبارها حيلة بلاغية تراأب هذا الصدع الواقع بين المتلقيين. ويتم هذا الأمر عن طريق إعادة إحياء استعارات قديمة، أو إعادة إنتاجها، ثم تسويقها بعد ذلك في واقع جديد، مختلف عن الواقع الذي استعملت فيه أول مرة. ولذلك فهو خطاب لا يستمد قوته من إبداع الاستعارات، ولكن يستمدها من إعادة إحيائها، والبراعة في تخيرها ثم تنزيلها على حادثة معينة، أو ظاهرة من الظواهر.وعلى قدر إتقان هذه المسألة ترتفع الاستعارة بالواقع الحالي إلى تاريخ متوهم في جزء منه، يعتقد معه المتطرف أن الغلبة للاستعارة على التاريخ. مع أن إتقانها لا يسقط عنها خصيصة التنافر، أي تنافر الاستعارة والواقع. ولا يرفع عنها قوة ارتفاع الواقع على الاستعارة، وما ينتج عن ذلك من رعب واضطراب يدفع بصاحب هذا الخطاب إلى تغطيته باختيارات معجمية عنيفة.

ثالثا؛ كون هذا الخطاب ينظر لتجربة إنسانية سابقة[1] يرى أنها قابلة للتكرار، مع تسليمه بأن هذا التكرار لن يكون ناجحا نجاح التجربة الأولى، لكون عنصرها البشري غير قابل للتكرار. فاحتذاء التجربة الأولى، هنا، من أجل إنتاج تجربة قريبة منها، لا غير. ومعنى أنها قريبة منها غير مطابقة لها أنها تجربة فيها بعض الاختلاف، وبما أن كل تجربة إنسانية مختلفة عليها مطاعن، فإن التجربة الأولى هي وحدها

(1) المقصود بالتجربة هنا: إدراك الأشياء، والأنشطة الحركية، والثقافة.

النموذج الصحيح. ولذلك فإن الاستعارات المستندة إليها، والمقتبسة منها، تستعمل في مقام التصحيح، والتقوية، والتقويم، والاستشهاد. فلا يستطيع هذا النص أن يستغني عنها، لأنها قوامه، وعموده، وسر قوته، ولأنها الدليل المشعر أن التجربة تتكرر، وأنها ممتدة في الزمن، وأنها واقعة حاصلة.

رابعا. الأنظمة الاستعارية في الخطاب المتطرف

إننا نعتبر هذه العلامات التي وقفنا عليها، مما له أثر في الاستعمال البلاغي خاصة، مدخلا ضروريا لفهم طريقة بناء الأنظمة الاستعارية في هذا الخطاب، لأنها بنيت من أجل إخفاء الاضطراب الحاصل عن الخلل الواقع في السياق، وفي التأليف، وفي الزمن، وفي المتلقي، مما بيناه آنفا. فالسياق غائب، والتأليف غير متلاحم، والزمن مختزل في زمنين، هما: زمن المجد، وزمن الاسترجاع، والمتلقي مفترض غير موجود. وهذه وجوه من الاضطراب تحتاج إلى إخفاء، وتمويه. ولا سبيل إلى إخفائها إلا بالحيل البلاغية، وأبرزها الاستعارة. وهذه الاستعارة تختزل نظرة المتطرف إلى نفسه، والنظرة التي يحب أن يتداولها الناس عنه. وهي نظرة قليلة تفاصيلها، ودورانها حول تزكية نفسه، واتهام غيره، وزعمه الاستئثار بالحق، والصلابة فيه. لذلك يسهل رجع الاستعارات التي يستخدمها المتطرف إلى نظام ونسق، ويسهل إدراك طبيعتها. ولعل أبرز الأنظمة الاستعارية التي يمكن رجع استعارات هذا الخطاب إليها، ثلاثة، هي:

1. نظام المطابقة:

وهو النظام الذي تستعمل الاستعارة فيه من أجل المطابقة بين مفاهيم، أو أحداث، أو وقائع ملازمة لشر متفق عليه، أو خير متفق عليه، أو أشخاص اقترنت سيرتهم بشر مُطْبِق، أو خير مطلق، وبين ما يَفترض المستعمل أنه يناظره في الزمن الحالي.

والغالب على الذي هو شر متفق عليه، أو هو خير لا شك فيه، أن يكون قد استمد تلك الصفة من الدين، دون أن يكون لهذا الأمر علاقة بقوة تدين الشخص أو رقة دينه. فإن لفظ فرعون مثلا هو في قوة الموضوع لمفهوم كلي، هو التجبر والظلم والطغيان، لا ينازع في ذلك من ضعفت عاطفته الدينية، لأنه اكتسب قوة باشتهاره بهذه الصفة صح بها أن يؤول بوصف، وينعت به. وبذلك أمكن أن يستعار، مع أنه اسم علم، ولا استعارة في العلمية إلا بهذا الشرط. لذلك اعتبره النحاة، والبلاغيون اسم جنس تأويلا. وذلك كما في كل الأعلام المشهورة بنوع من الوصف. وتصح المطابقة به بتجريده من الإضافة أو تغييرها. فإن الأصل فيه أن يقال: فرعون موسى. فهذه هي الإضافة التي للإيضاح. فإذا أسقطها المتكلم، مشيرا إلى شخص، أو معلقا على صورة، قائلا: هذا فرعون. أو غَيَّرَهَا بإضافة موهمة للمطابقة، أي مطابقة المعنى الموضوع في اسم الجنس المؤول للمعنى الذي يريده المتكلم، فقد نقلها من الإيضاح إلى الإيهام، وأمكنه نقل المعاني المودعة فيها إلى المستعار له، مخفيا بذلك كل تناقض يمكن أن يكشفه البحث في لوازم المعنى.ومثال ذلك أن يوصف بلد معين بأنه فرعون العصر. وهذه من الاستعارات المتداولة جدا. فإن لوازم هذا المعنى الظاهرة هي الظلم والتجبر والاستبداد. غير أن المشابهة هنا ضعيفة، لأنها قائمة بين بلد وشخص، وبين ديموقراطية حديثة وبين تسلط مطلق، وبين نظام دستوري حديث وبين من كان يقول: أنا ربكم الأعلى، وبين حرية وبين استعباد. ولذلك فإن المطلوب هنا هو إيهام التطابق، والتصديق به، وليس حقيقةَ وجوده. وييسر هذا الأمر شيئان:

أولهما؛ كون قوة الاستعارات كامنة في كونها لا يطلب فيها استقصاء أوجه المشابهة. فهي تقوم على أبرز هذه الأوجه فقط. لذلك لا يمكن للمتلقي أن يستنكر غياب الأوجه الأخرى.

وثانيهما؛ كوننا نحب اختزال الرذائل في أسماء الأجناس المؤولة، كما نحب اختزال الفضائل بها. فنحن كما نحب اختزال الرذائل في فرعون، وأبي جهل، ومن إليهما، نحب تصور العدل في شخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واسترجاع الثغور في شخص صلاح الدين الأيوبي، والشجاعة في خالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب L، لذلك يعتبر الطعن في هؤلاء الأعلام طعنا في بناء استعاري متوارث، والشكُّ فيما كانوا عليه من خصال شكا في تصورنا لأنفسنا، لأننا نختزل تصورنا لأنفسنا، وتصورنا لغيرنا بالاستعارة. والذي يزعم أنه يبحث عن الحقيقة هنا يبحث عنها حيث لا ينبغي البحث عنها، لأنه يبحث عن الحقيقة في الاستعارة، وقيام الاستعارة على وضع اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ومن أمثلة ذلك أيضا إطلاقهم اسم: غزوة نيويورك الكبرى، على ما صنعوه من تدمير لبرجي مانهاتن يوم: 11 سبتمبر 2001م. فإن استعمال هذا الاسم على سبيل مطابقته لاسم: غزوة بدر الكبرى، لا يراد به الحقيقة، وإنما يراد به استحضار لوازم المعاني الموجودة في الاسم الأول. وهي كونها شرعية، وكون الرسول ﷺ قائدها، وكون الطعن فيها وفي أسبابها ونتائجها غير ممكن عند من يدين بالإسلام، وكون من يقف في غير صف أهلها كافرا، وكون من قاتل فيها من أهل الملة على حق، وكون المقتول فيها منهم شهيدا، وكونها أول غزوة فصل الله تعالى

فيها بين الحق والباطل. فإذا صحت هذه اللوازم، وتمت المطابقة بها، أمكن عدها بهذا الوصف مرتبة في سلسلة الغزوات النبوية، كأحد، والخندق، والفتح، وحنين، وغيرها. وهذا أمر يحققه الاستعمال البلاغي وحده، ولا يمكن تحقيقه بغيره، لأنه استعمال لا يُسأل فيه صاحبه عن الخلل الواقع في التطابق بعدم وجود غزوة نيويورك الصغرى كما وجدت غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة للهجرة، إذ أصل العبارة في الاستعمال البلاغي: غزوة نيويورك الكبرى التي تشبه غزوة بدر الكبرى. فهو استعمال قائم على قوة التشبيه لا على قوة الحقيقة.

2. نظام التضاد؛ وقيامه على أمرين:

أولهما؛ تحسين القبيح، وتقبيح الحسن. وقد نقل حازم عن الجاحظ في هذا المعنى قوله: «إن الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به. وهذا باطل، ليس شيء إلا وله وجهان وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين. وإذا ذموا ذكروا أقبحهما»[1]. والمثال المشهور في ذلك في كتب البلاغة، قول ابن الرومي:

تقولُ: هذا مُجَاجُ النحل، تمدحه وإن تعبْ قلتَ: ذا قيْءُ الزنـابيرِ

قال ابن الأثير في المثل السائر: «ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحدَ بتصريف التشبيه المجازي المضمر الأداة الذي خَيَّلَ به إلى السامع

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.3، 1986م، ص:138.

خيالا يُحَسِّنُ الشيء عنده تارة، ويقبحه أخرى؟، ولولا التوصل بطريق التشبيه على الوجه لما أمكنه ذلك»[2].

وثانيهما؛ التعبير عن المعنى بغير اللفظ الموضوع له في اللغة أو بعكسه. وإليه يشير قول النبي ﷺ: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»[3].

وغاية هذا النظام الاستعاري بنوعيه حجب حقائق يصعب تقبلها. فإن الألفاظ الدالة على الهزيمة عندما تلحقها لوازم ألفاظ الانتصار، والألفاظَ الدالة على الموت عندما تلحقها لوازم ألفاظ الحياة، والألفاظَ الدالة على الفسق عندما تُسلب لوازمها المشهورة، يسهل تقبلها،ولا تنفِر النفس منها.

وهذا أسلوب قديم استعمله الخطاب المتطرف لتسويغ الفتك وتجميله. ومن أعجب الشواهد في ذلك أن رجلا عربيا من العراق، هو إلياس بن القسيس حنا الموصلي الكلداني، مر أواخر القرن السابع عشر بالديار الإسبانية والبرتغالية في طريقه إلى أمريكا اللاتينية، فوقف على محاكم التفتيش الرهيبة، فأطلق عليها اسم ديوان الإيمان[4].

(2) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر، ط.2، 2/ 124.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 18073، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1421هـ. 2001م، 615/29.

(4) الذهب والعاصفة، رحلة إلياس الموصلي إلى أمريكا، أول رحلة شرقية إلى العالم الجديد 1668 . 1683م، حررها وقدم لها: نوري الجراح، دار السويدي . الإمارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت، ط.1، 2001م، ص:42.

وهذا من أسرار قوة الحركات الجهادية، لأن الأطر الضابطة لطريقة تفكيرها، وتعبيرها عن الوقائع تجعل من الهزائم المتوالية مما لا يفت لها في عضد باعتبار المحن طريقا إلى الانتصار، وباعتبار القتل حياة، لأنه أحد الحسنيين، وباعتبار قلة عددهم علامة على أنهم الفئة القليلة المنصورة، وباعتبار اجتماع الناس على بطلان ما هم عليه علامة على أن الأمم تداعى عليهم لتمسكهم بالحق، وعضهم عليه بالنواجذ، ومخالفتهم الباطل، ودفاعهم عن الدين.

وبذلك فإن قوة خطابهم لا تعود إلى واقعيته، وإنما إلى حيله البلاغية. ولأن البلاغة لا يمكنها إخفاء الواقع وإن أمكنها تمويهه، فقد أدير الخطاب المتطرف حول مفهوم مركزي يربأ الصدع الواقع بين ما يمليه الواقع وبين ما تقوم بتمويهه الأساليب البلاغية، وهو: مفهوم التحدي والانتظار. حيث يستعمل مفهوم التحدي تصديقا لما أملته الطرق البلاغية في هذا الضرب من الخطاب، ويستعمل الانتظار لإخفاء عدم واقعيته، ولضمان استمراره[1]. فأصبح من أسس هذا الخطاب، ومما هو متداول فيه، انتظار المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، وانتظار كوارث طبيعية تقع بالعدو، وانتظار انهيار العالم الغربي، لما هو عليه من مفاسد، وانتظار نصر قريب، فالنصر

(1) يستحسن، هنا، الوقوف على الملاحظة التي سجلها لايكوف في حديثه عن حرب الخليج الثانية عندما أشار إلى أننا نبحث عن الاستعارات عندما لا يطابق الوضع التصور. جورج لايكوف. حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل. ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، ط.1، 2005م، ص:52.

صبر ساعة. ومن هذا الباب ما لاحظه «غرايم وود» من أن نهاية العالم وانتظار الملاحم هي الفكرة الرئيسية في حملة داعش الإعلامية[2].

وفي طريق الانتظار تقع المبشرات التي يفهم منها أن طريق الوصول قريب، ولذلك كان سرور داعش عظيما بسيطرتها على سهل «دابق» في سوريا[3]، فمع أن أهميته الاستراتيجية ضعيفة إلا أن أهميته في طريق الانتظار كبيرة. وذلك اعتمادا على حديث أبي هريرة، ونصه: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق»[4].

ومع أن من أهل العلم من فسر «دابَق»، هنا، بأنها موضع سوق بالمدينة وجعلها بفتح الباء،[5] إلا أن داعشا تفضل التفسير الذي يقول بأنها دابِق التي تقع بين حلب وأنطاكية[6]. وبناء على ذلك أطلقت على مجلتها اسم «مجلة دابق»[7].

(2) انظر: غرايم وود، ما تريده داعش فعلا، ترجمة: محمد عبده أبو العلا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أبريل 2017م، ص:17. 20.

(3) غرايم وود، ما تريده داعش فعلا، ص:18. 19.

(4) القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، تحقيق: لجنة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433 هـ. 2012م، 342/3.

(5) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، 342/3.

(6) انظر: في ذلك كتاب الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج. دار طوق النجاة، ط.1، 1430هـ. 2009م، 121/26.

(7) انظر: غرايم وود، ما تريده داعش فعلا، ص:18.

وبالمبشرات يقوى اليقين، وباليقين يقع الاستعلاء. وعن هذه الأمور الخمسة، وهي: الانتظار، والمبشرات، والتحديات، والاستعلاء، واليقين، تتفرع أنواع الاستعارات، وضروب التشبيهات، وأجناس الأساليب البلاغية المستعملة في الخطاب المتطرف.

ومما يقوي التحدي اعتقاد المتكلم أنه لا يمكنه بناء مشروعه إلا على أنقاض مشروع آخر، وأن إفساد الآخرين في الأرض يجعل الفساد لا يذهب إلا بذهابهم، أو خضوعهم له. وأن فهمه للدين هو الفهم الصحيح. ولذلك فهو لا ينظر إلى المشترك الإنساني، وإنما ينظر إلى الذات، ولا ينظر إلى السياق التاريخي، وإنما ينظر إلى التاريخ. فتجد صانع الخطاب الداعشي، مثلا، مولعا بذاته، وباستعمال صيغ منتهى الجموع في دلالتها على الكثرة، من مثل: الصوارم، والجحافل، والضياغم، مكررا لخطاب كان له سياقه الخاص، ولم يعد له معنى في زماننا اليوم. ومن ذلك رسالة داعش العجيبة إلى الرئيس الأمريكي السابق تحت عنوان: إلى أوباما كلب الروم. فهذا الذي يتحدثون عنه لا وجود له إلا في أذهانهم، لأن الرئيس الأمريكي ليس روميا، فهو من أصول إفريقية، وهو لا يقود أمة من الكفار، وإنما يقود شعبا مؤلفا من أجناس عديدة، وديانات مختلفة، منها الإسلام. ولكنهم كانوا ينظرون في التاريخ، ويخاطبون نقفور لا أوباما، فأصل هذه الكلمة رسالة هارون الرشيد إلى إمبراطور الروم في عصره، ونصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه[1]».

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة. مصر، ط.1، 1371هـ. 1952م، ص:249.

ومثل ذلك خطاب داعش لأردوغان بعد نجاحه في الانتخابات: «أيها العلماني سنحتل أرضك ونطردك منها». وليس يفسر غرابة هذا الخطاب، من جهة البلاغة، إلا ما قدمناه أولا من أهمية مفهومي: التحدي والانتظار في الخطاب المتطرف.

3. نظام التلطيف والتأنيس؛

وهو النظام الذي يمكن مستعمله من تلطيف أثر قوله في السامع، سعيا لقبوله له، بتغليب القوة المخيلة فيه.وفي ذلك يقول ابن سينا في «الخطابة»: «..وللقول الانتقالي الاستعاري في تأثيره مراتب. فإنه إذا قال الغزِل في صفة بنان الحبيب: إنها وردية، كانت أوقع من أن يقول: حمر، وخصوصا أن يقول: قِرمزية. فإن قوله في الاستعارة للحمر «وردية»، قد يخيل معها من لطافة الورد وعَرْفه ما لايخيله قوله «حمر» مطلقا. فإن قوله: «حمر» مطلقا لا يطُور[2] بجنبه المدح والاستحسان. وذكر القرمز[3] يتعدى إلى تخييل الدودة المستقذرة»[4].

(2) أي لا يحوم حوله ولا يقربه. ن . لسان العرب، 4 / 508 .

(3) القِرْمِزُ: صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم ، فارسي معرب .لسان العرب، 5 / 394 .

(4) ابن سينا، الخطابة (الشفاء/المنطق)، تحقيق: محمد سليم سالم، تصديرومراجعة: إبراهيم مدكور، القاهرة، 208/4. وانظر: الترجمة العربية القديمة للخطابة، لمترجم قديم، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات . الكويت، دار القلم . بيروت، 1979م، ص:191. وابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة، 1387 هـ. 1967م، ص:553 . 554. وأصل هذا كله فهم ما لقول أرسطو: «ومادة المجاز ينبغي أن تكون جميلة الوقع على الأذن، جميلة للفهم، وللعين أو لأي حس آخر. فمثلا: أن نقول: صباح وردي الأنامل، فهذا أجمل من أن نقول: صباح قرمزي الأنامل، وأجمل من أن نقول: صباح أحمر الأنامل». أرسطو، فن الخطابة، ترجمه عن اليونانية وعلق عليه وقدم له: عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة .بغداد، ط.2، 1986م، ص:200.

ومن أدق طرقه ومسالكه أن يُستعمل في التعبير عن الشيء المعجمُ المستعمل في التعبير عن ضده، فيشبه من هذه الجهة نظام التضاد، وإنما يميَّز بينهما بكون الأول يُقصد به الإخفاء، والإيهام، وكونِ الثاني يقصد به التأنيس، والتلطيف، وكونِ عُلقة الأول باللفظ، وعلقةِ الثاني بالتركيب.

ومثاله قول الشريف الرضي:

أرسى النسيمُ بواديكم، ولا برحت حوامل المزن في أجداثكم تضعُ

ولا يـزال جنينُ النبـتِ تُـرضعـه على قبـوركُـم العـرَّاصـةُ الهَمِعُ

فقد صور «ما يبسط النفسَ من ذكر الكوْنِ والنشءِ والحمل والرضاع في مظنة ما يقبضها من حالي البلى والهمود»[1].

وباستعمال هذا النظام البلاغي استطاعت «داعش» مثلا، أن تلطف معاني الخروج عن الأمة، ونشر الفوضى، وسفك الدماء. ففي وصف دولة الرعب التي أنشؤوها تجد معجم الأمن والأمان:

- من واجب المسلمين تأييد الخلافة وبيعة الإمام، فهو صمام أمان لأراضي المسلمين.

- وفي وصف تقلص مساحة ما يسيطرون عليه من أراض، تجد معجم البقاء والتمدد: الخلافة باقية وتتمدد.

(1) المنهاج، ص:360.

- وفي وصف انصراف الأمة عنهم، تجد معجم الانتظار والاستبشار: الأمة الاسلامية البالغ عددها نحو 1.6 مليار نسمة كانت في انتظار لحظة إعلان الخلافة من الفيلبين حتى نيجيريا.

وفي مقابل ذلك نجد استعمالهم معجم الوصف بالكفر والتشوه والتبعية في وصف «الدولة الحديثة»: أقيمت الدولة العربية الحديثة على النموذج الغربي المشوه الكافر.

وبفضل هذا النظام البلاغي أصبح شعارا: «الخلافة باقية وتتمدد»، و«حملة المليار مسلم»، من أنجح شعارات «داعش» في «فايسبوك» و«تويتر»، خصوصاً في أوروبا وآسيا[2].

والملاحظ أن هذه الأنظمة الثلاث، وهي: نظام المطابقة، ونظام التضاد، ونظام التلطيف والتأنيس، لا قيام لها بغير معجم خاص غالب عليها، نسميه: معجم الكلمات المفاتيح.

(2) انظر هذه الأمثلة وغيرها فيما كتبته منال لطفي تحت عنوان: ماذا تقرأ «داعش»؟ https://www.almodon.com .

خامسا. الكلمات المفاتيح في الخطاب الاستعاري المتطرف

نقصد بالكلمات المفاتيح الكلمات التي تلحقها ثلاثة أوصاف هي:

أولا؛ كثرة التداول في خطاب معين، بحيث تكون هي الأكثر استعمالا بين أفراده.

ثانيا؛ العجز عن بناء خطاب داخل اتجاه مخصوص بدونها، بحيث إنه إذا حرم المتكلم من استعمالها عجز عن بناء الخطاب الذي يريده.

ثالثا؛ كونها عمود الخطاب في اعتقاد المتكلم.

ولا شك أن حصر هذا المعجم، ووضع مدونة له، يُمَكِّنُ من إحداث اضطراب في ذلك المعجم، وإلحاق ضعف بالخطاب المستهدف. وذلك عن طريق إفراغه من محتواه وملئه بمحتوى جديد، أو عن طريق توجيهه، أو تحديد معانيه وحصرها، أو عن طريق ضغط إعلامي وسياسي قوي، يجعل مستعمل اللفظ لا يستطيع استعماله خوفا أو استحياء، مما يلحقه من صفات سلبية، وُضِعَتْ له، لم تكن فيه قبل ذلك، أو عن طريق وضع لفظ جديد لمعنى قديم، تسقط فيه لوازم اللفظ القديم. ويمكن أن نقدم لذلك مثالا بلفظ المثلية، وهو لفظ حادث في الثقافة العربية، وأما اللفظ المعروف فهو: اللواط للرجال، والسحاق للنساء. ولهذا اللفظ لوازم، منها: الهلاك (هلاك قوم لوط)[1]، والحرمة، والحد، وهي لوازم تسقط أو تضعف باستعمال لفظ: المثلية.

(1) سمي بذلك لأن أول من عمله قوم لوط. ن. في ذلك: تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم . دمشق، ط.1، 1408هـ، ص:324.

وخطورة هذا الأمر أنه يجعل في مُكْنَةِ من يستطيع فرض معجمه أن يوجه الرأي العام، وأن يجعل منه مادة الاستعمال البلاغي.

ولنا أن نتأمل في الأوصاف القائمة على هذا المعجم مما يُلْحِقُهُ غلاة الشيعة بأهل السنة من قبيل: أبناء العامة، والعمرية، والبكرية، والنواصب، والإرهاب الأموي، ومؤسسة الطلقاء، أو تلحقه بعض الحركات المتطرفة بالغرب، من مثل: أهل الصليب، والفساد، والضلال، والانحلال، أو يلحقه كثير من الغربيين بالمسلمين، من مثل: العنف، والديكتاتورية، والهمجية، والتخلف، والهوس الجنسي[2]، لنعلم أن هذه الأوصاف مصنوعة لتكون مادة لما يسميه لايكوف وجونسن: الاستعارات الاتجاهية (orientational metaphors)[3]، وأغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي، وهو هنا: فوق/تحت. أي: نحن فوق، وهم تحت. فكل وصفٍ وصفٍ مما ذكرناه، يُفهم بأمرين: أولهما أنه يتضمن وصف المتكلم نفسَه بنقيض الصفة التي يلحقها بغيره، وثانيهما أنه مادة موضوعة للاستعارات الاتجاهية. ولك أن تدرك ذلك بالنظر في هذه

(2) لاحظ الدكتور الصادق رابح في ورقة له عن تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الإعلامية الفرنسية: بحث في المصادر. أن الإعلام الفرنسي لا يقارب الإسلام إلا من خلال مفاهيم ومصطلحات من قبيل: التطرف، الأصولية، الحرب المقدسة، تعدد الزوجات، الجهاد، الإرهاب، الخ.www.academia.edu/ولسنا نحتاج أن نقول: إن استعمال هذا المعجم يحقق لصاحبه عن طريق الغض من شأن الآخر وتشويهه الإحساس بالتفوق الحضاري الشامل، وهو ما عبر عنه Marie Le Pen-Jean. بقوله:

Nous croyons à la supériorité de la civilisation occidentale .http://citation-celebre.leparisien.fr

(3) انظر: الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، ط.2، 2009م، ص:33. 40.

الأمثلة التي لا نحتاج إلى رجعها لنص بعينه لفشوها، وكثرة استعمالها، حتى لا يكاد يخلو منها نص يجوز أن نَسِمَهُ بالتطرف:

- سقوط الحضارة الغربية في حمأة الانحلال الأخلاقي.

- انهيار الحضارة الغربية[1].

- لقد كنا على قمة المجد[2].

- نحن في أعالي الجنان، وهم في الدرك الأسفل من النار.

ونقصد بهذا المثال الأخير ما يكون بابا إلى تكفير أهل القبلة[3]، والخروج إلى حكم شرعي بغير الأخذ بضوابطه. ويفهم جوهر هذا المثال بمعرفة أن كل ما هو محمود في الخطاب القرآني ينسب إلى العلو،

---

(1) يقول سفر الحوالي: «وليس في تاريخ البشرية أجمع نموذج للضلال والشقاء والمعيشة الضنك يوازي النموذج الذي تقدمه الحضارة الغربية المعاصرة. لقد ضج عقلاء الغرب وجأروا بالشكوى، وحق لهم ذلك وهم يرون انهيار حضارتهم، ويشهدون مأساة مجتمعهم بأعينهم..». العِلمانيَّة . نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة، ص:426.

(2) يقول مصطفى باحو، مثلا: «يجب على من له معرفة بقدر الواجب الملقى على عاتقه في حق أمته أن يقوم بالتعليم والإرشاد، وبيان العقيدة الصحيحة، والفرق بين الرب والولي، لنخرج من هذه الهوة السحيقة والمفازة المهلكة، التي أوقعنا فيها الجهل بديننا، والخروج عن تعاليمه النقية، وقد صار سلفنا على منهاجه حتى بلغوا قمة المجد، ودانت لهم البلاد والعباد، ونشروا رواق العدالة والنور على أمم الأرض التي كانت أبعد الناس عن ذلك». أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، جريدة: السبيل، المغرب، ط.2، 1428هـ. 2007م، ص:115.

(3) من ذلك، مثلا، تكفير كثير من علماء الشيعة كل من لا يقول بالإمامة. قال الطّوسي: «ودفع الإمامة كفر، كما أنّ دفع النّبوّة كفر، لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد». شيخ الطائفة جعفر الطّوسي، تلخيص الشافي، حققه وعلق عليه: السيد حسين بحر العلوم، مؤسسة انتشارات المحبين، قم. إيران، ط.1، 4/ 131.

قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: 50)، وقال سبحانه: ﴿ذِي المَعَارِجِ﴾ (المعارج: 3)، وقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: 19)، وقال أيضا: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 254)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (الأعراف: 176)، وقال أيضا: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة: 210).

وكل ما هو مذموم ينسب إلى السُّفْلِ. قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: 144)، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: 28)، وقال أيضا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين: 4 .5).

وبذلك فإن أعالي الجنان، والدرك الأسفل من النار، هنا، أوسع من مجرد حكم على الذات بالنجاة، وعلى الناس بالكفر، والعذاب، وسوء المصير، إذ هو علامة على تصور نسقي كامل تعبر عنه ألفاظ وعبارات آخذٌ بعضُها بحُجَزِ بعضٍ، يمكن توظيفها بلاغيا بوضع سياق جديد لها، والتوسع في تنزيلها على الأمم والطوائف، فيصبح ما عماده الوحي في القرآن الكريم، وما هو خاص فيه، عامًّا عماده التأويل والتوسع في التنزيل. لذلك كانت العبارة الأكثر تداولا عند الحركات الجهادية هي: «قَتلانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ». وأصل هذه الكلمة، كما ذكر ابن هشام وغيره، أنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، حِينَ أَرَادَ الِانْصِرَافَ، يوم أُحُدٍ «أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَقَالَ: أَنْعَمْتَ فَعَالِ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ، يَوْمٌ بِيَوْمٍ، أُعْلُ هُبَلُ، أَيْ: أَظْهِرْ دِينَكَ. فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ، فَقُلْ: الله أَعْلَى وَأَجَلُّ، لَا سَوَاءَ، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار»[1].

وقد قدمنا أول هذا البحث أن الخطاب المتطرف لا يعبأ كثيرا بالزمن والسياق، غير أن صانعه بارع في استخراج النصوص وتوظيفها، وإعادة إحيائها، ومحاولة تنزيلها على واقع يتغير باستمرار. ولذلك نرى النص الواحد تستعمله جهات مختلفة، قد تكون متعادية أحيانا. كل فرقة تنزله على الفرقة الأخرى. لأن النص بعد قطعه عن سياقه يصبح أكثر مرونة. ومثال ذلك هذه العبارة المركزية التي أوردناها هنا. فإن أصلها كلام موجه لرجل وثني يصرخ بأعلى صوته: أعل هبل. والذي نطق بهذه العبارة عمر رضي الله عنه بأمر صاحب الوحي ﷺ. وهي خبر، ممن لا ينطق عن الهوى، عن شهداء أحد من المسلمين، وعن قتلى المشركين. وهي تستعمل اليوم من طوائف من المسلمين في الإخبار عن حالهم وعن مصير خصومهم، أي في الإخبار عما استأثر الله تعالى بعلمه. وليس يرد «هبل» في هذا السياق إلا مؤولا، لأنه بغير ذلك يفسد المعنى الذي يقصدونه، وبتأويله ارتقى لكي يصبح من الكلمات المفاتيح في الاستعارات التي يستعملها أصحاب هذا الخطاب. وبهذا ندرك سبب شهرة قصيدة سيد قطب رحمه الله تعالى: هبل.. هبل. وكثرة تداولها. لأنه استطاع في هذه القصيدة أن ينقل «هبل» إلى مرتبة اسم العلم المؤول[2].

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر، ط.2، 1375هـ. 1955م، 2/93. 94.

(2) انظر: نص القصيدة في ديوانه، ديوان سيد قطب، جمعه ووثقه وقدم له: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء، المنصورة. مصر، ط.1، 1409هـ. 1989م، ص: 289. 290.

وعندما تجتمع هذه الاستعمالات البلاغية، مؤولة إذا كانت تعتمد على نص صحيح، وموروثة إذا كانت تعتمد على الذاكرة الجماعية، مما لا يشترط فيه أن يكون له أصل في التاريخ، ومصنوعة معتمدة على تمويه، أو تنزيل بعيد، تقدم مادة لعامة الأنصار. ذلك أن عقل عامة الناس لا يمكنه استيعاب أصول الخلاف، وإدراك أسبابه، ومعرفة تطوره التاريخي، ولكنه يمكنه تصور الاستعارات المتداولة داخل طائفة بعينها، وإليها يلجأ في الصراع الموكول إليه على صفحات العالم الافتراضي، وفي تعليقات القنوات الطائفية. ثم تصبح تلك الاستعارات سلاحا في نفسها، وبابا إلى حمل السلاح أيضا.

وقوة البلاغة في هذا الباب أنها تُمَكِّنُ من خمسة أمور هي:

أولا؛ اختزال الآخر في صورة ذهنية سلبية، واختزال الذات في صورة ذهنية تمجيدية. وقد يتجاوز الأمر ذلك إلى اعتبار الآخرين كائنات أخرى مختلفة لا يمكنها أصلا أن تشبهنا. فهذه «...أرلات شابو، تستضيف صهيب ابن الشيخ، أحد أصوات الإسلام «المعتدل» في فرنسا وصاحب الحظوة في وسائل الإعلام الفرنسية، ليعلق على إدانة إحدى النساء في ملعب كابول، قائلة له: «هل يمكن لك أن تشعر بما نشعر به نحن عندما نشاهد هذه الصور؟». إن دعوة أحد المسلمين (هنا صهيب ابن الشيخ) الحاملين لرؤية «معتدلة» يحبذها الإعلام الفرنسي، للتعليق على أحداث «إسلامية» وطرح هذا السؤال عليه، يعبر في النهاية عن التشكيك الرمزي في «كونهم» (المسلمين) يمكن أن يكونوا «مثلنا» نحن

الفرنسيين والغربيين عموما»[1]. فالاستفهام، هنا، غير بريء، فهو لا يقصد به حقيقة الاستفهام، كما يقول البلاغيون، وإنما يقصد به الخروج إلى معنى آخر، هو: الاستغراب، والتعجب، والشك. ليحقق بذلك لازم معناه، وهو التفوق، والتميز.

ثانيا؛ سهولة تخويف الآخر، والتخويف منه. ولولا ذلك لوجدنا خطاب التهديد الذي تستعمله الحركات العنيفة في العالم، مثيرا للغرابة. لأنه يقوم على تهديد من هو في غاية الضعف لمن هو في غاية القوة.

ثالثا؛ دفع المخاطب إلى التبرؤ من جملة أمور يريد المتكلم أن يجعله منقبضا عنها. وذاك أنه في سعيه إلى التخلص من جملة الأوصاف التي بُشِّعَتْ بلاغيا يتخلص مما تحتها من معتقدات لم يدُر في خلده أن يتخلص منها.

رابعا؛ الزعم بأننا لا نحتفظ بصورة نمطية عن الذات والآخر، بينما نحن في الحقيقة نحتفظ بها بقوة. وهو ما يحقق لنا ادعاء الموضوعية. ويكون ذلك عن طريق تغيير الصور الاستعارية، ومعجم الكلمات المفاتيح، والتعبير بصيغ لغوية جديدة عن أفكار قديمة. فهو أسلوب مشعر بأننا نغير من تصورنا، بينما نحن في الحقيقة نغير من أدوات التعبير عن ذلك التصور الثابت نفسه. وهذه حيلة أصبحت متداولة في عصر يفرض على أهله الاتصال، ولكنه لا يفرض عليهم التواصل، ضرورة.

خامسا؛ تكثير الأنصار عن طريق أساليب السخرية، والتخييل، والتصوير، والازدراء، والاستغراب، وغيرها من الأساليب البلاغية، مما

(1) الصادق رابح، تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الإعلامية الفرنسية، بحث في المصادر. www.academia.edu

لا يجدي في المناظرات العلمية الأكاديمية الجادة، ولكنه ينفع كثيرا في الخطاب الموجه للعوام عن طريق أدوات الاتصال الحديثة. ويكون المطلوب، هنا، تكثير السواد، لا معرفة الحقيقة. مع العلم أن تكثير السواد بخطاب الكراهية أصبحت له عائدات مالية ضخمة.

وأنت، عند التأمل، ستلاحظ أن هذه الأمور مجتمعة تؤدي إلى نشوء «هويات مجازية» لا حقيقة لها، فحقيقتها في ذهن صانعها، الذي يصنع مما هو مجاز، أو أسطورة، أو سرديات ذاكرة جماعية، هوية قاتلة تدور حول تمجيد الذات، وتبشيع ما سواها، وتقوية الخلاف، وادعاء امتلاك الحقائق المطلقة، وإعطاء أبعاد رمزية خالدة لأحداث تاريخية، ورجال صنعوها. ويريد، فوق ذلك، أن يصحح أحداثا مضت، وأخرى لم تكن، يجزم أنها حصلت، ثم لا يرى وضع السيف قبل ذلك.

ولست أريد أن أخصص طائفة دون أخرى بهذا الأمر، غير أن المثال الشيعي يبدو أقرب إلى توضيح المعنى، هنا، لعنايته بالرموز البلاغية منطوقة[2]، ومسموعة[3]، ومرئية[4]. ولمراكمته متنا طويلا من الكلمات المفاتيح، ونجاحه في المحافظة عليها، وإعطائها كل يوم معاني جديدة. ويكفي في ذلك أن نذكر أن الشيعة مازالوا يعتنون كل سنة بمراسيم تبديل راية قبة الإمام الحسين من الحمراء إلى السوداء علامة على

(2) لائحة الرموز الشيعية طويلة، نذكر منها: الحسين وفاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب M جميعا وكف العباس (باعتباره كان ساقيا لعطشى كربلاء)، وعاشوراء وكربلاء... ومعانيها تدور حول الظلم والثأر والعزة والفداء والثورة والإباء.

(3) مثال الرموز المسموعة أو الصوتية: اللطمية الشيعية المعروفة.

(4) مثال ذلك في الألوان: الأحمر: دم الحسين، والأخضر: آل البيت، والأسود: الحداد المستمر.

أن الشهيد لم يؤخذ بثأره بعد من قبل الواعد لها بالثأر، وهو إمام الزمان عندهم.

وهنا يصبح الرمز، وهو أداة من أدوات البلاغة، ذا أهمية بالغة في إحداث النفور من الخطاب المغاير، وهو ما عبر عنه طائفة من قدماء البلاغيين بمصطلحي: القبض والمنافرة[1]. وفائدته في الخطاب المتطرف ضمان مقاومة أنواع الخطاب التي ترفضها الجماعة، أو الطائفة، أو يرفضها المذهب. وإعادة صياغة الحدث القديم، وتنزيله باستمرار على واقع متغير. وهو ما تحققه البلاغة، لأن الصور البلاغية لا يمكن القبض عليها، وحصرها، وإخضاعها لتفسير لا يتبدل، فاستعمالها مثالي في واقع يريد أن يحافظ على سرديات جاهزة، وينزلها على وقائع متجددة، دون أن يلتزم بضوابط تفسد عليه مذهبه.

ولسنا نشك أن حرب الرموز والاستعارات قديمة[2]، ولكنا نزعم أن حرب الاستعارات، كما نعرفها اليوم، جديدة، ناشئة عن وعي حاصل بقيمة البلاغة في فهم الواقع، والتأثير فيه.

---

(1) انظر مثلا: ابن سينا، الإشارات والتنبيهات (القسم الأول)، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف. القاهرة، ط.3، ص:362. ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب. تونس، ط.3، 2008م، ص:11.

(2) من أمثلة ذلك ما ذكره النويري في «نهاية الأرب» من أن عوام السنة أحدثوا عيدا سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، بعد أن أحدثت الشيعة: عيد الغدير سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وقالوا: «هذا يوم دخول رسول الله ﷺ الغار، هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب. القاهرة، ط.1، 1423هـ، 185/1.

سادسا. صناعة الاستعارة وحروبها

لا تنشأ الاستعارة اليوم بطريقة طبيعية، في كل الأحوال، ولا تُتَصَوَّرُ بطريقة بريئة، وليست هي اليوم خاصة بمجالي الشعر والخطابة ونحوهما، وإنما أصبحت تنشأ بطريقة صناعية في كثير من المجالات، وذلك كما نرى في مجالي الدعاية والإعلام، وفي دوائر المخابرات، ومراكز صناعة التوجهات، وبذلك أصبحت الاستعارة تنشأ عن تداول تفكير، ونظر في التأثير، وفي مداه ومجاله، وأصبحت ثمرتها نفعية، وليست جمالية صرفا. وهي خاضعة لثلاثة أمور: صناعتها، وإذاعتها، وتغييرها بغيرها إن اقتضى الأمر ذلك. وبذلك لم يعد الأمر منوطا بذائقة المتلقين لا يعدوها. وذلك أن أدوات البلاغة أصبحت أشبه بمادة صناعية، مثلها في ذلك مثل بقية المواد الصناعية التي تصنعها الحضارة الحديثة. بل أصبح في مُكْنَتِنَا أن نصنع الذوق العام نفسه، والذوقُ الأدبي جزء منه، بحيث يشعر المتلقي بأنه جزء من العملية الأدبية، وأنه يستعذب صورا أدبية مخصوصة، بينما هو في الواقع قد صُنع له الذوق القابل لأسلوب أدبي بعينه قبل أن يتلقى ذلك الأسلوب نفسه، فانتقل القارئ من قارئ مساهم في العملية الأدبية تذوقا ونقدا، إلى قارئ يتوهم أنه يفعل كل ذلك، بينما هو جزء من آلة صناعية ضخمة تفعل به ما تراه مفيدا لها، وتقدم له ما هو مناسب لها. وهي ككل آلة لا قيمة للجزء فيها إلا بقدر ما هو ضروري لعمل الآلة في مجموعها، وقدر مكانه في الآلة، واتساقه مع بقية الأجزاء.

ومن أجل ذلك لم تعد صناعة البلاغة اليوم تهتم كثيرا بالاستعارات في تفاصيلها، ولا تنظر إليها متناثرة، وإنما نظرها إلى الاستعارات التي يسميها جورج لايكوف: مركزيةً[1]، ولم يعد اهتمامها منصرفا إلى الصورة الاستعارية بقدر اهتمامها بالفكرة الاستعارية.

وهذه طريقة تمكن من كشف الأطر التي يفكر بها الناس، يقول لايكوف: «من بين النتائج الأساسية التي توصل إليها علم النفس المعرفي أن الناس يفكرون من خلال الأطر والاستعارات...توجد الأطر في نقط الاشتباك العصبي (synapses) لأدمغتنا، إنها حاضرة فيزيائيا على شكل دورة عصبية. عندما لا تطابق الوقائعُ الأطرَ، تظل الأطرُ وتُتَجَاهلُ الوقائعُ»[2].

وهذا يعني أن صناعة الاستعارات أهم من الوقائع نفسها. ويقتضي معرفةَ من تُصنع له الاستعارة أولا. لأن التفكير الاستعاري بين الأمم لا يتطابق في كل الأحوال. ومثال ذلك أن استعارة: الدولة شخص، التي وقف عندها لايكوف في بعض ما كتبه[3]، قد لا يكون لها الأثر نفسه في الثقافة العربية، على اعتبار أننا ننظر إليها من باب المجاز العقلي، أو الإسنادي، أي باعتبار الإسناد إلى السبب. وهذا أمر تنبه له الإسرائيليون في حربهم على الفلسطينيين عندما أطلقوا على بعض عملياتهم الحربية اسم: الجرف الصامد، ولكنهم استعملوا هذا التعبير الاستعاري

(1) جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، ط.1، 2005م، ص:67.

(2) جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص:72.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص:67. 72.

بالعربية والعبرية فقط، بينما أطلقوا على هذه العمليات نفسها باللغة الإنجليزية اسم: الحافة الواقية (protective edge) وفي مواجهة هذه الاستعمالات الاستعارية الحربية اختار الفلسطينيون أن يسموا هذه الحرب نفسها: العصف المأكول.

وهذا يعني أن صانع الاستعارات الحربية محتاج إلى أن يأخذ الاستعارات التي يستعملها خصمه بعين الاعتبار، وأن يحاول توجيهها ما أمكنه ذلك. ومن أمثلة ذلك تلك الاستعارة التي كانت مشهورة جدا في الإعلام العربي في فترة الستينيات من القرن الماضي، وهي استعارة: سنرمي بإسرائيل في البحر. فقد وجهت هذه الاستعارة من الإسرائيليين لبناء صورة تعاطف معها العالم الغربي، وهي صورة الرجل الطيب المسالم المحاط بالأعداء الأشرار الذين يريدون رميه في البحر وإغراقه.

وآفة مثل هذه الاستعارات أنه لم يصنعها متخصصون، وإنما صنعها إعلام متحمس لا ينظر لغير المخاطب العربي. مع أن التفكير البلاغي في مثل هذه الأحوال يقتضي النظر في أصناف المتلقين، وتقسيم طبقات الكلام على طبقات الناس[4]. ويدخل في هذا أن يوضع في الاعتبار الفرق القائم بين المتلقي الغربي والمتلقي العربي. ومعرفة ما تعتبره ثقافة ما أدخل في باب المجاز، وتحمله ثقافة أخرى على وجه من وجوه الحقيقة. ومن هذا الباب ما لاحظه غرايم وود من أن بعض تهديدات أبي محمد العدناني، كبير المتحدثين باسم الدولة الإسلامية،

(4) انظر كتاب: الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية. بيروت، 1419 هـ، ص:29.

فهمها العقل الغربي على أنها ترويع عن طريق المجاز، بينما كان العدناني يقصد الحقيقة[1]. وهذا يعني أن اعتماد ثقافة واحدة لم يعد، اليوم، كافيا في فهم الاستعارات الحربية، خاصة أن الحرب في الشرق الأوسط أصبحت دينية، في كثير من وجوهها، حيث أصبح من الطبيعي أن يعبر فيها عن الأشخاص والأحداث والوقائع والمعارك بوجوه بلاغية لا تفهم بغير الرجوع إلى الثقافة الدينية. ومن أمثلة ذلك في وصف الأشخاص، وصف أبي محمد العدناني لجون كيري، على سبيل الكناية، بأنه رجل غربي غير مختون[2]. ومن أمثلة ذلك، أيضا، طريقة داعش في تسمية معاركها، إذ تنسبها إلى القائد الذي يقودها تشبها بما يرد في كتب السيرة أحيانا من تسمية السرية باسم صاحبها، فتقول: غزوة أبي فلان، وتذكر اسم القائد، باستثناء معارك قليلة، استعملتْ في تسميتها التضمين، وذلك كمعركة مطار الطبقة في سوريا التي سمتها: غزوة: فشرد بهم من خلفهم. فهذه التسمية من قوله تعالى في الأنفال الآية 58: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وهي مع ذلك لا ترقى إلى الاستعمالات التي يفكر فيها فريق من الخبراء، وينظر في ملاءمتها للجمهورين الداخلي والدولي، قبل اعتمادها. وهو ما نجده مثلا في الحرب الاستعارية القائمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وإن كانت تشبهها في اعتماد النصوص الدينية مصدرا لها. ففي نوفمبر 2012م، مثلا، أطلقت إسرائيل اسم: عملية «عمود السحاب» على قصفها الفلسطينيين. وهي استعارة لا تفهم بغير النظر

(1) غرايم وود، ما تريده داعش فعلا، ص:6.

(2) المرجع نفسه.

في سفر الخروج من التوراة (خروج 13:21). إذ فيه أنه لما طارد فرعون وجيشه شعب بني إسرائيل أمام البحر الأحمر، كان «عمود السحاب» هو السبب الرئيسي في حماية بني إسرائيل من جنود فرعون مصر، بأن جعل الدنيا ظلامًا دامسًا أمام المصريين، الأعداء، ليضلهم عن طريق بني إسرائيل طوال الليل. وقد أطلق الفلسطينيون على هذه العملية اسم: حجارة السجيل. وهي استعارة يفهم منها توقع نصر الله للضعيف نصرا مؤزرا، كما نصر سبحانه وتعالى قريشا والعرب، على ضعفهم يومئذ، على جيش أبرهة بحجارة من السماء. وبذلك فإن المخاطب هنا بهذا الاستعمال المتلقي المسلم لا سواه.

المحتويات

أولا. تحديد المفاهيم ووضع الحدود 5

1 . التطرف 6

2. الغلو 7

3. التعصب 8

4 . الإرهاب 9

ثانيا. في التنبيه على العلائق بعد توضيح الفروق 11

ثالثا. في علامات الخطاب المتطرف كما ابتليت به الثقافة الإسلامية في العصر الحديث 14

رابعا. الأنظمة الاستعارية في الخطاب المتطرف 17

1. نظام المطابقة 17

2. نظام التضاد؛ وقيامه على أمرين 20

3. نظام التلطيف والتأنيس 25

خامسا. الكلمات المفاتيح في الخطاب الاستعاري المتطرف 28

سادسا . صناعة الاستعارة وحروبها 37